

## جامعة القديس يوسف احتفلت بعيدها السنوي في مار روكز

## شاموسي: لـ"الديموقراطية العضوية" و"التعددية المفتوحة"



السفير الفرنسي دوني بيتوت والنائب مروان حمادة ورئيس الرابطة المارونية جوزف طربيه والنائب السابق بهيج بطارية في مقدم الحضور في القداس. (ميشال صايغ)

الأخيرة من اضطرابات سياسية، أن تنخرط في صميم هذه الحركة التي تحاول، بعيداً عن كل أشكال العنف، أن تعيد رسم العلاقات في ما بين من يعتبرون أنفسهم مواطني بلاد واحدة، وقد نذروا أنفسهم، بعدما وعوا ما بينهم من اختلافات، للعمل على إعادة بناء أساسيات بلاد بقيت ممزقة زمنياً طويلاً.

فهذه هي، على ما يبدو لنا، أركان هويتنا الأربعة، وهي الأبعاد الأربعة التي يتعين أن نضطلع بها، إن أردنا أن نبني معاً هذا العيش المشترك الذي أتينا على ذكره سابقاً. لقد قلنا أعلاه إنه ما من حاكمية في غياب رسالة يشارك فيها الجميع، ثم أردنا قائلين إنه ما من عيش مشترك في غياب حاكمية محددة. وكنا فضلاً عن ذلك قد وصفنا مقتضيات كل حاكمية. فما الذي يترتب علينا نحن منها؟

(...) فلنقل بإيجاز إنه إذا كانت السلطة كلها متجمعة بين يدي الرئيس ومجلسه، من غير استشارة الأطراف المعنيين، فمن الجلي أن ذلك سيؤدي إلى نظام حاكمية شديد التسلط، يفضي في نهاية المطاف إلى أن تسير الأمور كلها وفقاً لمشيئة مجالس التأديب والأوامر الصادرة من فوق. وعلى النقيض من ذلك، فإن طرقاً أخرى لتصور الأمور يمكنها أن تفضي بنا إلى ما يسميه البعض "الديموقراطية التشاركية"، أي الأخت الصغرى لـ"الديموقراطية التوافقية" البعيدة الاحتمال، وهي نوع من الديموقراطية يؤدي أحياناً إلى تعطيل القدرة على اتخاذ القرارات، وإلى السلطات تكون دوماً أسيرة امتناع هذا الفريق أو ذلك عن التحرك (...).

وفي الحقيقة، ليس من السهل أن نوفق في العثور على حاكمية لا يعطل فيها كل من قطبي التقرير والتشاور صاحبه الآخر. ولربما يتعين علينا، في نهاية المطاف، أن نعتمد والحالة هذه ما تمارسه جامعتنا منذ سنوات. فإن هذه الصيغة من الحاكمية التي يحسن بنا أن نطورها، وهذا ما سنقوم به، تشبه بالفعل نمطاً من الديموقراطية التي تدعى "الديموقراطية العضوية". أعرف أن بعضهم سترتعد فرائضهم لدى سماعهم هذا المفهوم، لأنه يتحدث مباشرة مما كان فرانكو وعدد من ديكتاتوريات أميركا الجنوبية قد تصوّروه لتحديد نظامهم. ولكن اتفق أن الخبراء في الشؤون الأوروبية في بروكسيل استأثروا بهذا المفهوم ليجعلوا منه علامة فارقة، حضارية الطابع، للحاكمية التي ينادون بها.

تعتمد صيغة الحاكمية هذه أولاً وبصورة منظمة تعددية محدودة، ولكنها فعلية، يمكننا أن نسميها "التعددية المفتوحة"، وهي تلحق اللجوء إلى مداوات متنوعة تجرى مع أطراف لا يتم اختيارهم خدمة لأغراض أيديولوجية محددة، بل لاعتبارات عملية وتقنية. ومن المتفق عليه أيضاً أن اختيار الأطراف المعنيين بعمليات التشاور لا يتم استناداً إلى شهرتهم بقدر ما يتم استناداً إلى كفاءتهم المشهود لها (...).

وإن من شأن دوائر التشاور هذه أن تمكننا من قيادة السفينة مراعين الأطراف كلهم، من مسؤولين، وأساتذة، وطلاب. (...) وإنه ليبيّن، من جهة أخرى، أن من شأن هذا التصور أن يساعدنا في إدارة مستشفى أوتيل ديو الذي عهد به إلينا. (...) ولكنه من الجلي أن التشاور والتواصل هما، في هذا العالم المثقل بالأعباء، الركبان الأساسيان لبنائه العام.

وفي الخاتمة: إن النظر في الحاكمية على أساس مفاهيمها الراهنة يعني التجذر في نظرة

الضروري الإصرار على تحديد هوية الجامعة ورسالتها. وكانت جامعة الآباء اليسوعيين معروفة بما كانت عليه، وكانت تمارس رسالتها من غير مشكلات. ولم تظهر الحاجة إلى تحديد رسالة جامعتنا ورؤيتها إلا بعد أن تحوّلت، في العام 1976، جامعة لبنانية خاصة، وبعدها تم الاعتراف بعدد كبير من مؤسسات التعليم العالي حولها. وعندما أطلق الأب سليم عبو، في العام 2002، المسيرة الناشطة التي ستفضي في العام 2009 إلى اعتماد جامعتنا، تم إبراز عدد من الاقتراحات وهي:

- النجاح في تنشئة أفضل الطلاب في لبنان والمنطقة، وتزويدهم جوازاً حقيقياً يؤهلهم للحصول على عمل؛ - والارتقاء إلى مرتبة قطب تفوق وتميز على صعيد البحث العلمي والابتكار؛ - والتصنيف كمرکز مرموق للحوار، وذلك من خلال الثنائيات الثقافية والتعدد اللغوي؛ - والاستمرار كموقع للتفكير وللتنشئة الشاملة المتكاملة. وغني عن البيان أن هذه المهامات ما برحت هي بالذات مهماتنا. غير أنه من البديهي القول إنها تقوم على عدد من الكلمات الأساسية التي تشكل نسيج شرعة جامعتنا. فهذه الكلمات الأساسية ما زالت الأساسيات المرجعية الجوهرية لما يمكننا أن نسميه "ثقافة جامعة القديس يوسف". فتلك هي الروح التي ينبغي أن تحركنا جميعاً وتتيح لنا أن نخضع للحاكمية الواحدة نفسها.

وإنه لمن المفيد أن نردّد اليوم على مسامعنا هذه الكلمات الأساسية. فجامعتنا هي جامعة تستوحي المبادئ المسيحية، وهي جامعة فرنكوفونية، ومرتکز مرموق للبحث والتعليم، ومقرّ للتنشئة على المواطنة.

فعندما نقول إنها جامعة تستوحي المبادئ المسيحية، فإننا نؤكد في الوقت نفسه على تمسكنا بخصوصياتنا الدينية وانفتاحنا على الجماعات الدينية الأخرى كلها، التي لا نسمح بأن يمارس في حقها أي تمييز. وبهذا المعنى يتوجب على جامعتنا أن تبقى دوماً رائدة على صعيد حوار الأديان وحوار الثقافات. وعندما نقول إنها جامعة فرنكوفونية، فإننا نتمسك بهذا بموقف يبرز خصوصية لبنان المميزة ولا يحول البتة دون انفتاحنا على اللغات الأخرى، وفي طليعتها اللغة الإنكليزية، وعلى جميع اللغات التي تتيح لطلابنا التآلق في العالم. وإذ يطيب لنا أن نردّد هذا الشعار: "جامعة فرنكوفونية، وطلاب ثلاثيو اللغة"، فإن فرصاً أخرى هي متاحة لنا، وتسمح لنا التزاماتنا في دبي أو في دول عربية أخرى بأن نفكر في خيارات أخرى، من غير أن ننظر إلى التخلي فيها كلياً عن اللغة الفرنسية.

وأما قولنا إن جامعتنا مركز مرموق للبحث والتعليم، فهو من البديهيّات. يبقى علينا أن نعمل حتى لا يحجب التعليم الذي فرض نفسه منذ أمد بعيد كتابته، الحاجة الماسة إلى أن نرؤد جامعتنا البنى التي ستمكّن أوسع شريحة من أن تتذوق مباحث البحث وجفافه. إن قطب تكنولوجيا الصحة يشكل رمزا. ونأمل أن يحفز الاختصاصيين في مجالات أخرى على تصور البنى المطلوبة لهذه الأبحاث في جامعتنا. ويتعين على هذه الأبحاث التي سنقوم بتمويلها أن تؤمّن من أيضاً جزئياً تمويلها الذاتي بواسطة ما تنتجه. إنها حقاً لمهمة شاقة.

وقلنا أخيراً إن جامعتنا مقرّ للتنشئة على المواطنة. فإنه يتعين على جامعتنا التي غالباً ما انخرطت في صميم ما شهدته السنوات

المفهوم على تفحص الأساليب التي نعتمدها في ممارسة إدارة جامعتنا، والتنسيق بين المسؤوليات المختلفة، ومراعاة كل الأصوات التي تعبر عن وجهة نظرها داخل أسرتنا الجامعية، فضلاً عن الآليات المعتمدة في اتخاذ القرارات النهائية. وغني عن البيان أن لهذه المقاربة آثاراً بعيدة المدى. فما هو موضوع المسألة هنا إنما هو ثقافة معينة برمتها، ومجموعة قيم، وطريقة معينة لتصور "عيشنا المشترك"، وهو في المحصلة النهائية مفهومنا لممارسة الديموقراطية، وهذه المسألة الأخيرة هي حجر الزاوية في مجمل تأملنا، والشرط المسبق الذي لا يقبل النقاش لكل صياغة فكرية. فلا يمكننا أن نؤسس جامعتنا على أي شكل من أشكال التوتاليتارية. ونذكر ما لهذا الموقف من آثار عميقة، نظراً إلى أن مهمتنا تقوم على تنشئة مواطني هذ البلاد. ولكن يتعين علينا أن نردّد باستمرار أن مهمتنا لا تقوم على تنشئة قادة وزعماء، بل تقوم على تنشئة مسؤولين، والفرق بين الأمرين جوهري.

## مقتضيات الحاكمية الرشيدة

علينا الآن، بعدما حدّدنا هذه الشروط الأولية، أن نحاول فهم المقتضيات التي وضعها الخبراء الذين دعوا جامعتنا إلى صياغة حاكمية أفضل. (...) فتحة أربعة التزامات يتعين على من ينخرط في مسار الحاكمية الرشيدة أن يأخذ بها، فالمطلوب هو التوصل إلى إدارة الثقة، وإدارة التعدد، وإدارة الشك والتعقيد، وأخيراً إدارة العلاقات بين مراكز القوى.

(...) إن الحاكمية الجديدة التي دعينا إلى اعتمادها تستدعي بالتأكيد، على هذا المستوى من التفكير، في الوقت نفسه من الإدارة المركزية معرفة أوفى بما يجري في المؤسسات، ومن هذه المؤسسات وجميع من يعمل فيها انخراطاً أكبر في مسيرة الجامعة العامة. وأما الأمر الثاني فمفاده أن تحقيق المزيد من التواصل والمزيد من الشفافية لا يُبطل بالتأكيد البنى القائمة حالياً في الجامعة. ويجب أخيراً ألا يغيب علينا أن هذه المعطيات التقنية كلها لا يمكنها أن تنسينا أننا جميعاً حَمَلَة الرسالة نفسها. فإن العمل في جامعة القديس يوسف يعني الاضطلاع برسالة هي رسالة جامعتنا، وهذا ما سأتطرق إليه بالتأكيد لاحقاً، ولكن لا بد لنا أن نؤكد منذ الآن أن هذا الواقع يقتضي منا أن نضطلع بخصوصية لن يمكننا أبداً شطبها بشحنة قلم. ستحافظ جامعتنا، على امتداد الأزمنة، ورغم الصعوبات كلها، على ما التزمته منذ بداياتها.

## الرسالة، والحاكمية، والعيش المشترك

وهذا الأساسي هو بالتأكيد ما يشكل خصوصيتنا، وما في ضوئه يمكن حاكمية ما أن تمارس. وهذا الأساسي هو نمط العيش المشترك الذي تعزّزه الحاكمية المختارة. فما من حاكمية في غياب رسالة، وباختصار في غياب ثقافة مميزة. وما من عيش مشترك في غياب حاكمية. ويحمل هذا العيش المشترك اسماً، وهو الحياة الديموقراطية. فلا بد، في ما هو أبعد من الحريات المكتسبة، من إقامة بني تتيح لنا في الوقت نفسه اتخاذ القرارات، واتخاذها مراعين مجموعة كبيرة من الثوابت والمتغيرات.

قلنا إنه "ما من حاكمية في غياب رسالة وثقافة مميزة..." لقد عرف لبنان زماناً كانت فيه الجامعات نادرة على أرضه، ولم يكن من

احتفلت جامعة القديس يوسف بعيد شفيهما أمس جرياً على عاداتها كل سنة، في حرم العلوم والتكنولوجيا في مار روكز، غداة توديعها رئيسها الأسبق، الأب جان دكروبييه.

## تقديم

احتفلت جامعة القديس يوسف بعيد شفيهما أمس جرياً على عاداتها كل سنة، في حرم العلوم والتكنولوجيا في مار روكز، غداة توديعها رئيسها الأسبق، الأب جان دكروبييه. وضمّ للقاء أهل الجامعة، يتقدّمهم رئيس الجامعة الأب رينه شاموسي، ورئيسها الفخري الأب سليم عبو، ونواب الرئيس، والأمين العام، وعمداء الكليات، ومديرو المعاهد العليا والأحرام والفروع الجامعية، وما يزيد على 800 أستاذ قدموا من كليات الجامعة ومعاهدها العليا في بيروت، ومن فروعها في صيدا وزحلة وطرابلس. وشارك في اللقاء وفد يمثل طلاب الجامعة، ووفد يمثل موظفيها من الإدارة المركزية ومن سائر الأحرام والفروع الجامعية، ووفد يمثل إدارة "أوتيل ديو" الجامعي. وحضر رئيس اتحاد جمعيات متخرجي جامعة القديس يوسف وأعضاءها، ورؤساء رابطات المتخرجين، إلى الأعضاء اللبنانيين في مجلس جامعة القديس يوسف الاستراتيجي. وشارك أيضاً عدد من السفراء ومن نقباء المهنة الحرة التي هي على صلة مباشرة بنشاطات الجامعة، ومجموعة من أصدقاء الجامعة الذين يساهمون في تمويل برامج المنح والمساعدات التي تقدّمها، ويدعمون مشاريعها وخططها، كما شارك أيضاً عدد من رؤساء الجامعات اللبنانية.

## تقديم

وتميّز الاحتفال هذه السنة بحضور الأمين العام لاتحاد الجامعات العربية، الدكتور صالح هاشم، الذي حرص على مشاركة جامعة القديس يوسف في احتفالها بعيدها السنوي. بدأ اليوم الجامعي الطويل عن الساعة الحادية عشرة قبل الظهر بقداس احتفل به رئيس الجامعة ولفيف من الآباء الذين يتولون التدريس فيها ومرشدو الطلاب. وبعد القداس انتقل المشاركون إلى المدرج الكبير الذي غُضت بهم مقاعد، وأما الأعضاء الذين يؤلفون مجلس الجامعة فأحاطوا برئيس الجامعة على المنصة. وبعدها وقف الحضور للشيد الوطني، استمعوا إلى خطاب رئيس الجامعة وموضوعه: "الجامعة والحاكمية والديموقراطية"، وأقيم بعده حفل غداء للحضور احتفاءً بالمناسبة.

## تقديم

وفي ما يأتي بعض أبرز ما ورد في الخطاب، الذي نقله إلى العربية الدكتور هنري العويط: (...) فدا لنا من الضروري في ضوء ذلك أن نحاول التفكير في هذا المفهوم ("الحاكمية") وفي الصيغ المتعاقبة التي تجسّد بها في المرجعيّات المختلفة في جامعتنا. وسيتسنى لنا أن نكتشف، في خلفية هذا التفكير، أنماط العيش المشترك في جامعتنا الجامعية، وعددًا من القيم التي نرغب في أن يشترك الجميع معنا في الإيمان بها، وتنتقل إلى نقلها إلى جميع من نستقبلهم ضمن جدراننا... فلعلهم يوفقون بدورهم في أن يفيدوا بها كل من يحيط بهم.

لعله من المفيد، بإدنى ذي بدء، القول إن مفهوم "الحاكمية" هو مفهوم متباين في شأنه الآراء (...). فما زالت "الحاكمية" مفهوماً غامضاً، بل يمكننا القول إنه كلمة حَمَلَة أوجه، يختلف تحديدها باختلاف المواقع التي تستأثر بها: ومنها الشركة، والحاضرة، والتنمية، والمناطق - كالاتحاد الأوروبي -، والعلومة...

أما نحن، فلقد وقّعنا على هذا المفهوم يوم قررنا أن نستحصل على الاعتراف بجامعتنا واعتمادها على المستوى الدولي. ويحملنا هذا